الملف

«جيوش» الظل الإيرانية.. صعود إمبراطورية الميليشيات

أعد الملف:
مروان محمود، يوسف شرف الدين، إسراء حبيب، سحر عزوز

شرع نظام الملالي الحاكم في إيران منذ عقد الثمانينيات من القرن الماضي، في إنشاء ميليشيات شيعية مسلحة عاثت في الأرض فسادًا، وعملت بكل السبل على إشعال الفوضى، وبث ممارسات طائفية لإضعاف المجتمعات وخلق الاضطرابات وإشعال الحروب الأهلية والطائفية.

وكان الهدف من إنشاء هذه الميليشيات التي سرعان ما تحولت إلى «جيوش ظل»، وضمت نحو 200 ألف مقاتل، هو توفير البيئة المناسبة لتحقيق الاختراق الإيراني لدول المنطقة، حيث زود طهران هذه المجموعات بالمهارات والخبرة القتالية، ففرضت نفسها كأداة في يد طهران استخدمتها كـ «فزّاعة عسكرية» لدول الشرق الأوسط عامة، والبلدان العربية المجاورة لإيران بشكل خاص.

ويرى المراقبون أن الوجود الشيعي المسلح الذي تمدد في أماكن متعددة من المنطقة، أريد به أساسًا أن يكون «وكيلًا لإيران»، لكي يتلقى عنها الصدمات، ويقوم بتنفيذ ما يُطلب منه من أعمال عنف وعمليات إرهابية فور تلقي إشارة البدء من طهران مباشرة.

ولم تكتف «جيوش الظل» الإيرانية بدورها شبه العسكري فحسب، بل قامت إيران بخلق الكيانات الشيعية المسلحة لأهداف سياسية أيضًا، وعملت على صبغها بالشرعية فيما بعد، وذلك من خلال تحويل تلك الجماعات المسلحة الموالية لها إلى كيانات سياسية، كما هو الحال في تجربة «حزب الله» الذي يتحكم في مقدرات الدولة اللبنانية منذ سنوات طويلة، وتجربة «الحشد الشعبي» العراقي، الذي بات قوة سياسية مهيمنة على الساحة في العراق، وله نواب في البرلمان، ويتمتع بنفوذ سياسي كبير.

وفي هذا الملف، نكشف طبيعة وأبعاد الدور الذي لعبته إمبراطورية الميليشيات الشيعية مترامية الأطراف، من أجل تنفيذ الأجندة الإيرانية، وكيف استخدم ملالي طهران الجماعات المسلحة الموالية لهم في ضرب استقرار الدول، والقيام بأعمال عنف وإرهاب من شأنها زعزعة الأمن القومي العربي، لجعل مقدرات المنطقة برمتها لعبة في أيدي الملالي الملوثة بدماء الأبرياء في كل مكان.

ميليشيات إيران «تختطف» بلاد الرافدين

إيران جعلت من العراق منذ عام 2003 منطلقًا لخدمة استراتيجياتها وركيزة أساسية لبنيتها الأمنية الإقليمية

■■ جعلت إيران من العراق منذ الغزو الأمريكي عام 2003، منطلقًا لخدمة استراتيجياتها وركيزة أساسية لبنيتها الأمنية الإقليمية، حيث اعتبر نظام الملالي بلاد الرافدين بمثابة «حديقة خلفية» لإيران، تعبث بها طهران كما يحلو لها!

وتعتبر استراتيجية طهران، العراق منطلقًا لإنشاء جسر بري يمر بسوريا، ومنها إلى لبنان، بقصد ترسيخ الوجود الإيراني في المنطقة من جهة. وتسهيل حركة الميليشيات العسكرية ونقل الأسلحة والمعدات العسكرية عبر هذا الرابط البري من جهة أخرى لتنفيذ المهام الموكلة بها.

وبدا واضحًا في أعقاب انتهاء معركة الموصل في ديسمبر/كانون الأول 2017، وقوع المؤسسات الأمنية والعسكرية العراقية تحت نفوذ هذه الميليشيات الطائفية الموالية لإيران، بعد تهميش الجيش النظامي وإضعاف دوره، لتصبح هذه الأذرع العسكرية عصيّة على الضبط والإخضاع، وهو ما يجعل عملية استئصالها مكلفة للغاية، خصوصاً أنها نجحت في أن تكون شريكاً بات يقاسم الدولة السلطة والموارد.

وتقوم هذه الميليشيات بأنشطة عسكرية وأمنية مزعزعة للاستقرار في العراق و المنطقة، كلما ظهر ما يهدد المصالح الإيرانية، بهدف إيصال «رسالة» بالنيابة عن الإيرانيين إلى أطراف دولية وإقليمية ذات مدلولات أمنية أو سياسية أو تحذيرية، دون أن تظهر إيران طرف مباشر فيها، حيث يكون من السهل على طهران أن تنأى بنفسها عن كل ما يحدث من عمليات تستهدف الداخل العراقي، أو تلك التي تستهدف الجانب الأمريكي.

وعكس تضخم نشاط هذه الميليشيات المدعومة من إيران، حالة التصدع التي يعاني منها البنيان المؤسساتي الرسمي في العراق بعد عام 2003، والتي أدت إلى انتشار الأجنحة العسكرية الطائفية، رغبة من طهران في إعادة رسم حدود السياسة والمصالح والقوة في عراق ضعيف ومحدود التأثير في محيطه الإقليمي والدولي، جراء ما تمتلكه هذه الميليشيات من قوة ونفوذ يفوق إمكانات الدولة وقدراتها.

الطائفية فوق الوطنية

من أبرز الميليشيات الشيعية الموالية لإيران في العراق، قوات «الحشد الشعبي» التي انتقلت عمليًا بعد عام 2017 إلى حشد ميليشياوي إقليمي مشارك في الصراعات الإقليمية والدولية، جعل الولاء الطائفي فوق الاعتبارات الوطنية، وجعل من «الحشد» لاعبًا رئيسيًا في المعادلة الداخلية العراقية، ذا ولاء خارجي.

وتشعبت مصادر قوة ميليشيات «الحشد الشعبي» في الداخل العراقي خلال الأعوام الأخيرة، لتشمل أبعادًا جديدة بجانب الشق العسكري الذي كان المجال الرئيسي لعمل تلك الميليشيات، في إطار انخراطها في الحرب ضد تنظيم «داعش».

وتشكّلت الفصائل المكونة لـ«الحشد» تباعًا بعد عام 2003، لكنه ككيان موحد تشكّل وفق الفتوى التي أصدرها المرجع الشيعي الأعلى في العراق على السيستاني في يونيو/حزيران 2014.

وتم تنظيم فصائل «الحشد» في شكل ألوية، وعددها 64 لواء موزعة على 8 محاور. وهو من نحو 67 فصيلًا مسلحًا تتعدد ولاءاتها، فمنها من يتبع المرشد الإيراني علي خامنئي مباشرة، ومنها من يتبع مرجعية النجف، بينما يتبع البعض مراجع شيعية أخرى.

وتورطت هذه الميليشيات في جرائم عنف طائفية، وتحديدًا في المناطق السنية التي دخلتها، لدرجة أن المرجعية العليا التي تعد الداعم الأول لتلك الميليشيات، حرصت على إبعاد الفصائل الموالية لها عن الفصائل الموالية لإيران.

واستخدمت إيران الميليشيات الطائفية بقوة ضد احتجاجات الشباب العراقي الذي خرج في أكتوبر/تشرين الأول 2019 إلى الشوارع، للمطالبة بالحد من التدخلات الإيرانية وإنهاء الفساد المستشري وإيجاد حلول للبطالة المزمنة. وكثفت بعض هذه الفصائل الولائية من عمليات قتل النشطاء وخطفهم، دون أن تتحرك الحكومة باتخاذ إجراءات عقابية ضدها.

ويتحدث العراقيون عن دولتين متوازيتين، واحدة بحكومة ضعيفة لن تقوى على تحقيق الوعود التي أطلقها رئيس الوزراء لمكافحة الفساد، والأخرى قوية وتُدار تحت نظر الميليشيات واستجابة لمصالح الجانب الإيراني؛ خصوصًا أن الميليشيات المسلحة في العراق، متشابكة مع الدولة وتمارس النفوذ السياسي معها، الأمر الذي يلغي الحدود بينهما.

وساعدت النجاحات العسكرية التى حققتها ميليشيات الحشد فى إطار الحرب على داعش فى تشجيعها على الانخراط فى الحياة السياسية، وأتى ذلك بعد تمكن تلك الميليشيات من تقنين أوضاعها القانونية واندماج الجزء الأكبر منها فى داخل الجيش العراقى. وشاركت ميليشيات الحشد للمرة الأولى فى الانتخابات التشريعية العراقية فى عام 2018 من خلال «تحالف الفتح». وتواصل ميليشيات الحشد الشعبى العراقية تحركاتها الهادفة إلى بناء اقتصاد موازٍ لها داخل المؤسسات الحكومية وخارجها، وذلك فى تكرار واضح لتجربة الحرس الثورى الإيرانى، الذى تمكن بحسب التقديرات من السيطرة على ثلث الاقتصاد الإيرانى.

وعلى الرغم من سعى جميع الحكومات العراقية المتعاقبة منذ ظهور ميليشيات «الحشد» إلى فرض سيادة وهيبة الدولة، فإن جميع المحاولات فشلت لاصطدامها بعقبة كبرى، وهى عدم ملاءمة تلك التغييرات لطبيعة الوضع الداخلي، خاصةً هيمنة القوى الشيعية ذات الصلة الوثيقة بإيران، حيث وقفت تلك القوى عقبة أمام تلك التحركات التي تراها مهددة لمصالحها المختلفة فى العراق. يُضاف لذلك الضغوط الإيرانية والميليشياوية المكثفة ضد شخوص رئيس الحكومة، وشبكات المصالح الواسعة التى باتت تمتلكها الميليشيات فى البلاد، خاصةً على الصعيد الاقتصادي.

تفاقم الأزمات المزمنة

أسهم وجود ميليشيات «الحشد الشعبي» في تفاقم الأزمات المزمنة التي يعانيها العراق منذ عام 2003 حتى الآن، فهو يشكّل تحديًا كبيرًا لتماسك الدولة في ضوء قوة السلاح التى يمتلكها. كما أن وجود «الحشد» فى داخل المؤسسة العسكرية العراقية جعل منها طرفًا رئيسيًا فى الخلاف الشيعي-السنى، حيث باتت تحكمها الاعتبارات الطائفية، وهو ما قد يقضى على أى مساعٍ مستقبلية قد تهدف إلى تحويلها إلى مؤسسة وطنية جامعة لكل العراقيين.

ويعمق وجود الميليشيات الشيعية فى المشهد العراقي من الخلل القائم فى علاقة الدين بالدولة، فقد أسهم وجود القوى المؤدلجة دينيًا فى «تديين الدولة» وخاصة فى الجوانب الاجتماعية، وهو ما ساعد على تعزيز التطرف والتعصب. وبخلاف ملف استهداف المصالح الأجنبية فى العراق، سعت الميليشيات لعرقلة جهود السلطات العراقية لضبط الأمن المنفلت فى شتى أرجاء العراق. كما بات العراق ساحة للصراعات الدولية نتيجة لدورها، فمنذ بدء التوتر الأمريكى الإيرانى، سعى الجانب الإيرانى إلى توظيف تلك الميليشيات ضد واشنطن والزج بها فى خضم هذا الصراع، كنوع من «استعراض القوة» من جانب طهران ضد الجانب الأمريكي. ومن المتوقع فى حالة حدوث أى صراع مستقبلى بين إيران والولايات المتحدة أن يكون العراق ميدانًا محتملًا للمواجهة بينهما.

أخيرًا، تبدو الحكومة العراقية عاجزة عن مواجهة أنشطة الميليشيات المدعومة إيرانيًا، والتي تعبث بالملفات الأمنية والسياسية والاقتصادية في البلاد، وليست لديها القدرة على حصر السلاح بيدها، وستستمر هذه الميليشيات في تقويض جهود الاستقرار، للإبقاء على نفوذها وتعزيز سيطرتها على الاقتصادات غير المشروعة، ناهيك عن تقوية تمددها خارج الحدود، ما لم يتحرك المجتمع الدولي لدعم الحكومة العراقية لوقف خطر هذه الميليشيات الشيعية التي باتت بمثابة أمر واقع في الساحة العراقية.

■ المصادر:

- العراق وهيمنة الميليشيات الإيرانية، الشرق الأوسط، 9 سبتمبر/أيلول 2019.
- الحشد الشعبي ومستقبل العراق، مركز كارنيغي لدراسات الشرق الأدنى، 28 أبريل/نيسان 2017.
- الحشد الشعبي تهديد محلي وإقليمي، مركز العراق الجديد، 30 أبريل/نيسان 2018.
- مستقبل «قوات الحشد الشعبي» في العراق، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 31 مايو/أيار 2020.
- الميليشيات الموالية لإيران.. تحديات تواجه استقرار العراق، موقع ترينديز، 25 فبراير/شباط 2021.

فيلق القدس.. عرّاب «جيوش الظل»

النظام الإيراني استحدث «دويلات الميليشيات» وأوكل لها مهمة ضرب الدول النظامية من الداخل

■■ انتهج نظام الملالي منذ ثورة عام 1979 سياسة التركيز على إنشاء الجماعات المسلحة غير النظامية، ورعاية شبكة من «جيوش الظل» قوامها الميليشيات الشيعية خارج حدود إيران، حتى يستطيع هذا النظام استهداف من يعتبرهم «أعداءه» واستحداث دويلات الميليشيات والفوضى التي أُوكلت لها مهمة ضرب الدول النظامية من الداخل، لكي تكون بمثابة أذرع إيران الطويلة في الخارج.

ووقف «فيلق القدس» التابع لـ «الحرس الثوري» وراء تأسيس مختلف التنظيمات الشيعية المسلحة في المنطقة العربية والإسلامية، وقام بتمويلها وتدريبها، والتنسيق فيما بينها، وحتى تخطيط وتنفيذ العمليات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وكان دور «الفيلق» هو تأسيس شبكة وكلاء إقليميين في الدول التي تتدخل في شؤونها إيران، وذلك بالدعم العسكري والمالي، ومن ثم الدفع بهم للانخراط في العملية السياسية في دولهم، بما يعزز وضعهم في مواجهة السلطة المركزية.

وبذلك، أصبح لإيران حضور شبه عسكري في المنطقة العربية من خلال هذه الميليشيات المسلحة التي أنشأتها كأذرع لها في مناطق النزاع العربية، والتي تصاعدت وتيرتها بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 واندلاع ما يسمى بثورات الربيع العربي 2011، وقد مكنت تلك الجماعات إيران من تثبيت نفوذها في العديد من الدول العربية والإسلامية المجاورة، وكانت بمثابة «جيش ظل» إيراني متقدم.

ممارسات الجماعات الشيعية المسلحة عمّقت التصدعات الاجتماعية في دولها.. وكرّست «الفرز الطائفي»

دويلات داخل الدول

عمل «فيلق القدس» على مدار سنوات طويلة، بقيادة اللواء المغدور قاسم سليماني، باعتباره «الذراع الطويلة» للنظام الإيراني، فقد قام بمهام سرية داخل الدول التي تدخلت طهران في شؤونها، وقام أيضًا بتدريب وتسليح الوكلاء الإيرانيين مثل «حزب الله» اللبناني، الذي أسسه «فيلق القدس» في الثمانينيات، ثم كان له دور كبير في تأسيس كثير من الميليشيات الشيعية في عديد من الدول العربية مثل سوريا واليمن والعراق.

واستغلت الميليشيات الشيعية بدعم إيراني الظروف الداخلية للدول التي نشأت فيها، ليتحول بعضها إلى دويلات داخل الدول، وفي أخرى لتحل محل الدولة ذاتها، فعلى سبيل المثال استطاع «حزب الله» استغلال الظروف الداخلية في لبنان وتأسيس دولة له داخل الدولة اللبنانية، يتحرك من خلالها لفرض سيطرتها على القرار السياسي اللبناني بما يتوافق مع الأجندات الإيرانية.

كما قدّمت إيران الدعم العسكري والمالي واللوجيستي للميليشيات العراقيَّة، مثل «فيلق بدر، وعصائب أهل الحق، وكتائب حزب الله»، وكلها ميليشيات انضوت تحت لواء «فيلق القدس» أثناء محاربة تنظيم «داعش» في العراق عام 2014.

ويتم تصوير أنشطة الميليشيات الشيعية ضمن خطاب أوسع، يتمحور حول «القوات الموالية للحكومة». فحتى إذا اضطلعت هذه الجماعات بأدوار مهيمنة في نزاع ما، وسَعَت إلى تحقيق أهداف تختلف عن تلك التي وضعتها القوات الحكومية، فلا تزال توصف على أنها أكثر من «مجرد عناصر دعم». وساهم هذا الأمر في أحداث تمويه أكبر للتطورات الإقليمية والإيديولوجية البارزة المرتبطة بالميليشيات وبشبكات المحسوبية الخاصة بها.

ويرى المراقبون أن هناك منطلقات مشتركة بين هذه الجماعات الشيعية العابرة للدول، وتتمثل أولى النقاط المشتركة بينها في انطلاقها جميعًا من خلفية عقائدية تؤمن بـ «ولاية الفقيه» التي تبناها موسوي الخميني كنظام حكم في إيران، ضمن فكرة «الشيعية الجهادية»، وأنها انخرطت في مشروع ما قبل الظهور لتهيئة الظروف للدولة المهدوية التي يقودها الإمام الثاني عشر حسب عقيدتهم، وانخراط شيعة أفغان في المشروع مؤشر على محورية البعد العقيدي في العلاقة بين هذه التنظيمات شبه العسكرية.

استناد هذه الميليشيات على إيران بشكل أساسي في تسليحها ودعمها المالي، لا ينفي وجود مصادر أخرى لدعمها من قبيل الأموال المتدفقة من «زكاة الخُمس» والتبرعات الشيعية، أو حتى مصادر الدولة ذاتها كما هو الحال مع «الحشد الشعبي» العراقي، الذي تخصص له حصة من الموازنة العامة للدولة، و«الحوثيون» بعد سيطرتهم على السلطة في صنعاء وتسخير مقدرات الدولة لصالحهم، وهذه المصادر المالية الكبيرة تمكن الميليشيات الشيعية من الاستمرار لفترة أطول، وتوسيع نشاطاتها، كما تجعل مواجهتها أكثر كلفة.

ويكشف تتبّع ممارسات هذه الجماعات المسلحة عن أنها عمّقت التصدعات الاجتماعية في دولها، وكرّست الفرز الطائفي، وأن ممارساتها التي ترتقي إلى مستوى «جرائم الحرب» تختزن وراءها ثارات مجتمعية ستظهر بين الفينة والأخرى، خصوصا في سياق تدجينها العمل السياسي لصالح خدمة مشاريعها الطائفية المعبرة عن المصالح الإيرانية، أكثر من مصالح دولها العليا.

أما في العراق فقد استطاعت الجماعات الشيعية الحاكمة في بغداد استغلال سيطرة تنظيم «داعش» على مدن عراقية لتشكيل ميليشيات «الحشد الشعبي» بدعم مباشر من إيران وبمباركة مراجع شيعية في العراق وإيران، لتتحول هذه الميليشيات إلى قوة عسكرية تفوق قوة الجيش العراقي النظامي.

وبعد تمرير قانون إنشاء «الحشد الشعبي»، سيطرت الميليشيات على مؤسسة الجيش وقراره العسكري، ثم استحوذت على الملف الأمني بشكل مباشر بعد وضع شخصية تابعة لها على رأس وزارة الداخلية العراقية، وبذلك فرضت هيمنتها على أهم وزارتين في البلد، وهما وزارة الدفاع والداخلية.

وأما في اليمن، فقد حاولت إيران تكرار تجربتها في العراق من خلال دعم ميليشيات «الحوثي» التي سعت منذ سبتمبر/أيلول 2014 إلى السيطرة على مقدرات الدولة اليمنية، ونجحت بالفعل في احتلال العاصمة صنعاء.

«جيش شيعي» عابر للجنسيات

انتشرت في سوريا خلال الحرب الأهلية ميليشيات شيعية محلية وأجنبية تابعة لإيران يزيد عددها على 50 فصيلًا، ويتجاوز عدد مسلحيها 60 ألف مقاتل، كانوا يعملون تحت إمرة خبراء عسكريين إيرانيين على تنفيذ استراتيجية طهران.

وتأسست في الساحل السوري خلال عامي 2015 و2016 ميليشيات شيعية مشابهة لـ «حزب الله» تحت اسم «الغالبون - سرايا المقاومة الإسلامية في سوريا». كما تأسست ميليشيات في كل المناطق الشيعية في سوريا مثل بصرى الشام بدرعا، ونبل والزهراء بريف حلب الشمالي الغربي، والفوعة وكفريا بإدلب، والسيدة زينب والسيدة رقية وحي الجورة بدمشق وريفها، وأخيرًا في الشومرية ومناطقها بريف حمص الغربي.

عملت طهران على تشكيل قوات شعبية سورية من المتحمسين من الأقليات، وبالأخص المسيحية والعلوية، بالتزامن مع تجييش العراقيين والأفغان الموجودين في سوريا وإيران، للدفاع عن النظام السوري، بالتعاون مع «حزب الله» اللبناني. ولاحقًا، تضخم البرنامج وتوسع حتى اقترب من بناء «جيش شيعي عابر للجنسيات»، يحتل مناطق واسعة من لبنان، والعراق، وسوريا.

وكان على رأس هذه الميليشيات «كتائب الإمام علي»، المنضوية تحت راية «الحشد الشعبي» في العراق، وتضم نحو ألف مسلح، يقاتلون في البادية الشامية. ومثلها «كتائب حزب الله النجباء» و«كتائب سيد الشهداء» و«حركة الأبدال»، ويبلغ عدد مسلحي كل منها ما بين ألف و1500 عنصر ينشطون بشكل خاص في البادية. تتركز مقرات الميليشيات العراقية في السيدة زينب، وبلدة العيس جنوب حلب، وكذلك في مقرات الفرقة الثامنة عشرة بريف حمص الشرقي.

■ المصادر:

- الميليشيات المسلحة.. أحصنة طروادة الإيرانية في الدول العربية، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، 24 ديسمبر/كانون الأول 2018.
- ما هي أبرز الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران؟ رصيف 22، 31 أغسطس/آب 2016.
- "فيلق القدس"... الوجه العسكري لسياسة إيران بالشرق الأوسط، موقع إندبندنت عربية، 11 أكتوبر/تشرين الأول 2019.

«العنف المقدس».. كيف استباحت الميليشيات 4 عواصم عربية؟

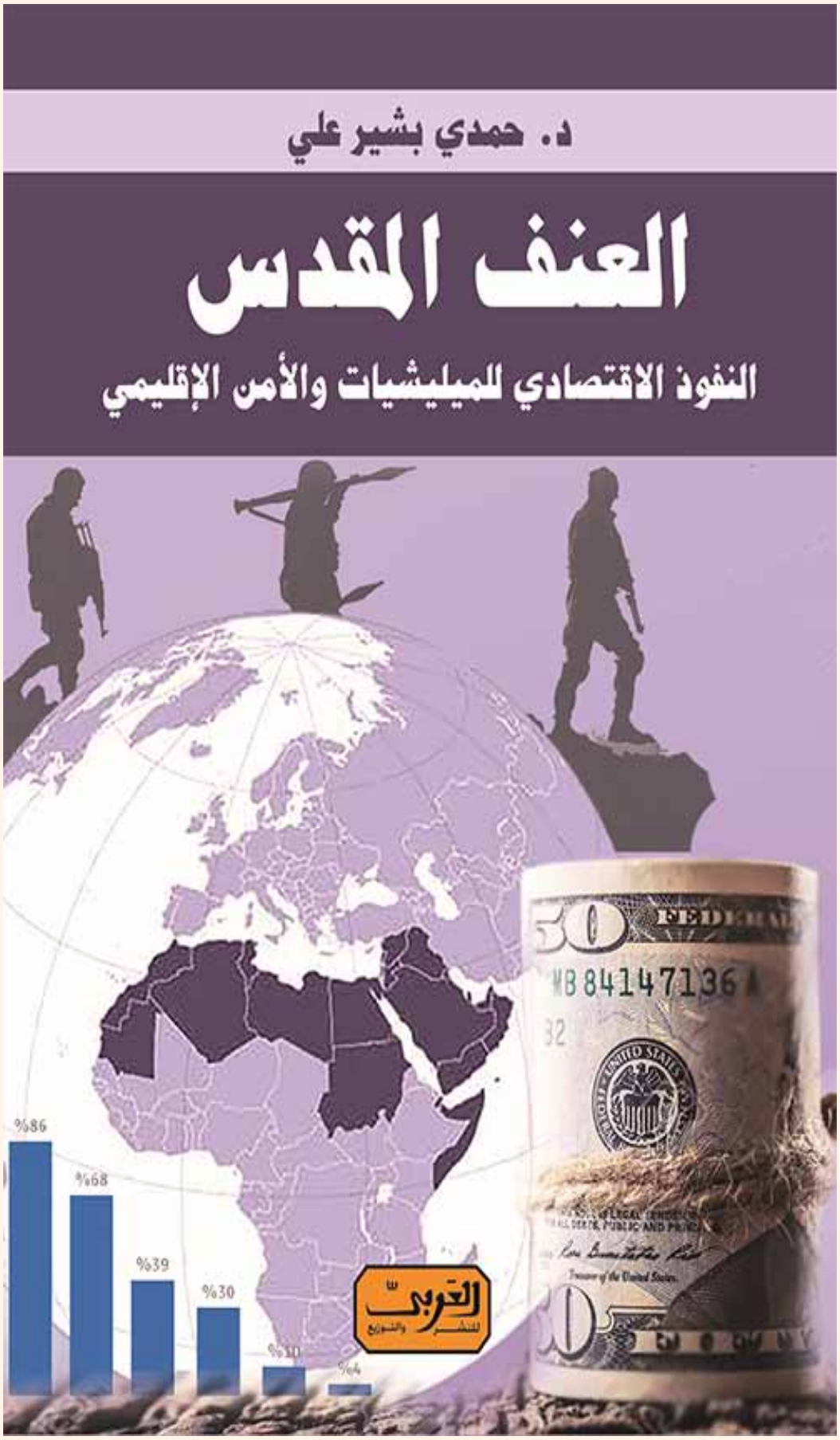

■■ عمدت «جيوش الظل» الإيرانية إلى نهب ثروات الدول التي نشطت فيها، من لبنان إلى العراق، ومن سوريا إلى اليمن، بهدف التحكم في مقدراتها، ولتعزيز نفوذها العسكري والسياسي والاقتصادي. وبذلك تصبح الدولة ومواردها غنيمة لهذه الميليشيات، حيث تم التنافس على ثرواتها، واستقطاع أكبر قدر ممكن من أراضيها، فضلا عن الاستثمار في الطائفية، وجمع التبرعات تحت شعارات مذهبية، أو إطلاق الفتاوى الدينية لاستحلال النهب والسرقة.

ويتساءل الكثير من المراقبين والمتابعين للشأن الإيراني، إلى أي مدى تعزز السيطرة الاقتصادية للميليشيات الشيعية من نفوذها السياسي على الساحتيّن الداخلية والإقليمية؟ وما هو تأثير نفوذها الاقتصادي على الأمن القومي العربي؟ وما هو الدور الايراني في تمويل الميليشيات الشيعية، وتعزيز سيطرتها الاقتصادية في كل من لبنان واليمن والعراق؟

كتاب «العنف المقدس: النفوذ الاقتصادي للميليشيات والأمن الإقليمي» للدكتور حمدي بشير، يجيب عن هذه التساؤلات المصيرية، عبر تركيزه على النفوذ الاقتصادي للميليشيات الشيعية وحدود سيطرتها الاقتصادية، ودورها وحضورها السياسي في المنطقة العربية، حيث أصبح بعضها فى مواجهة عسكرية مع دول إقليمية، موضحا كيف ازدهر «ربيع الميليشيات» مع ثورات الربيع العربي، حيث صعدت تلك الميليشيات وعززت شرعيتها مستغلة الصراعات، لتتمكن من الموارد الاقتصادية وتعظم نفوذها بقوة. وكان غياب الدولة وهشاشة مؤسساتها الأمنية والسياسية من أهم العوامل التى أوجدت فراغا سعت هذه الميليشيات لملئه، ووجدت إيران فيه فرصة لخلق كيانات شيعية موالية لسياساتها وأجندتها الخاصة.

سياسة «اختطاف الدول»

وفق المؤلف، فإن النموذج الأول لذلك هو «حزب الله» اللبنانى الذي برز كفاعل مهيمن وقادر على الممارسة السياسية والعسكرية والاقتصادية في لبنان. ورغم إنكار الحزب مرارا دعمه من إيران واعترافه بالولاء لها، فإن زعيمه حسن نصر الله اعترف صراحة فى 2015 قائلا: «نعم، تلقينا الدعم السياسي والمادي بكل الأشكال

برلمانى إيرانى:
صنعاء رابع عاصمة عربية «تسقط»
بعد بغداد وبيروت ودمشق!

الممكنة من إيران منذ عام 1982».

كما احتضنت إيران حركة «الحوثيين» في اليمن عبر الحرس الثورى الإيرانى وساندتها معتمدة على حزب الله الذى تولى التخطيط وإدارة شئون الحوثيين باليمن مستفيدا من خبرته العسكرية والاجتماعية بلبنان، لتتحول مع الربيع العربى لميليشيا مسلحة تمكنت من الاستيلاء على صنعاء، ونقلت لها إيران تجربتها بالتجنيد والدعاية الفكرية والسياسية، كما دربتهم على أساليب جمع الموارد المالية بالإضافة للتدريب العسكري، فى نفس الوقت الذى كان يفخر فيه بعض السياسيين بإيران بسيطرة «الحوثيين» على صنعاء ويصفونه بكونه «انتصارا كبيرا لإيران»، حيث صرح على زاكاني، البرلمانى الإيرانى السابق بأن صنعاء أصبحت رابع عاصمة عربية تسقط بعد بغداد وبيروت ودمشق، وأن السعودية هي هدفهم القادم!

وفى العراق، كان سقوط صدام حسين والاحتلال الأمريكي للبلاد عام 2003 سببا فى انتاج نظام طائفي «غنائمي»، سيطر بموجبه الشيعة على مقاليد الأمور، فأدخل البلاد فى أزمات سياسية واقتصادية لم تستفق منها حتى اليوم.

ووفق المؤلف، تسيطر الميليشيات الموالية لإيران على الحركة التجارية داخل المدن العراقية، كما تقوم بفرض الإتاوات وابتزاز التجار ورجال الأعمال، بالإضافة إلى السيطرة على المشاريع الاستثمارية في المدن المُحررة، واشتراط الحصول على «حصة» من التجار والمقاولين في مقابل السماح لهم بأي عمل أو مشروع في مناطق النفوذ الخاصة بها.

وتبدو الميليشيات الأصغر أكثر تطرفا ودعما لسياسات إيران، مثل «عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله العراقي». وتعمل إيران أيضا على تعزيز نفوذها وتأثيرها السياسي، فسعت لتوحيدها بتشكيل الائتلاف العراقى الموحد الذى كان الخطوة الأولى للهيمنة الإيرانية السياسية بالعراق بعد فوز تلك الكتلة بانتخابات 2005.

يوضح الكتاب أن الدعم المالى للميليشيات الشيعية يقدر ببلايين الدولارات سنويا، حيث قدمت إيران لـ «حزب الله» اللبنانى منذ نشأته ما لا يقل عن 100 مليون دولار سنويا، ثم تضاعف الرقم مع انخراطه فى الحرب السورية ليصل لـ 800 مليون دولار ليعود لينخفض فى عامى 2014 و2015 بسبب تأثير العقوبات الدولية على إيران.

بينما حصلت ميليشيا «الحوثى» الانقلابية في اليمن على 25 مليون دولار سنويا منذ عام 2010، وتشير التقديرات إلى أن الميليشيات الشيعية بالعراق حصلت على دعم إيرانى يصل إلى 35 مليون دولار سنويا ليرتفع إلى 200 مليون دولار سنويا مع بداية الألفية الثالثة، بالإضافة إلى برامج التدريبات العسكرية التى تبلغ نحو 50 مليون دولار وفقا لتقارير صادرة عن أجهزة مخابرات غربية، كما تقدم إيران الدعم العسكرى عبر تزويد الميليشيات بإمدادات ثابتة من أحدث الأسلحة.

ومنذ قررت إيران الدخول فى مفاوضات سرية مع الولايات المتحدة الأمريكية عام 2013 ازداد التدخل الإيراني بشئون دول المنطقة، حيث كانت إيران تثق بأن المفاوضات وسياسة الرئيس الأمريكى الأسبق باراك أوباما لن تؤدى لأى ردة فعل تجاهها، لذا اتجه «الحرس الثوري» لإشعال الحرب باليمن، أملا فى حصول إيران على تنازلات أكثر خلال تلك المفاوضات.

ويشير الكاتب إلى أن الوطن العربى لم يعرف فى تاريخه هذا القدر من الانتشار للميليشيات الشيعية، التى تعمل عبر الحدود الوطنية وتترك تأثيرات غائرة فى الدول وأنظمتها، لتصبح دويلة داخل الدولة إلا مع ممارسات التعبئة التى بدأتها إيران عقب الثورة الإيرانية، ولم تختلف فى ممارساتها عن قوى الاستعمار التى غرست بذرة المشروع الطائفى بالمنطقة لخدمة مصالحها الخاصة.

ويرى «بشير» أن ما تشهده المنطقة من صراعات إقليمية وحروب أهلية ناتج عن الدعم الإيرانى للميليشيات الشيعية، وليس نتيجة لتهديدات الميليشيات السنية مثل «القاعدة وداعش والنصرة» لأن الميليشيات السنية ظهرت بسبب السياسة الطائفية التى تزايدت فى العراق بعد سقوط نظام صدام حسين، وهذه السياسات الطائفية التى تدفع بها إيران للمنطقة أدت لظهور تلك الميليشيات، محذرا من خطورة توسع نفوذ تلك الميليشيات على تهديد الأمن الإقليمى العربى، خاصة أن مفهوم الأمن الإقليمى عند إيران يعنى التوسع والسيطرة على المنطقة بإثارة الصراعات الطائفية والقبلية والحروب الأهلية مما يهدد المنطقة العربية بكاملها، وهو مفهوم يختلف عن المنظور العربى للأمن الإقليمى. فإيران تشن «حروبا بالوكالة» من خلال استعمال ميليشياتها بدلا من المواجهة المباشرة مع دول الخليج وتتمثل خطورة ذلك باستنزاف الموارد الاقتصادية لتلك الدول وإنهاك جيوشها والتهديد المستمر لمصالحها ورعاياها، كما تعد الميليشيات أداة هدم للدول من الداخل، وتلعب قوات القدس التى كان يديرها سليمانى الدور الرئيسى فى إدارة تلك الحرب باستهداف الديموجرافيا العربية لتحويل الأغلبية السنية لأقلية بخلق كيانات تمارس الحرب على الكيان الوطنى لمصلحة إيران، مما ينذر بمواجهة إقليمية شاملة. وبالتأكيد يظل مستقبل المنطقة وأمنها الإقليمى مرهونا بمستقبل هذه الميليشيات، ويبقى مستقبل هذه الميليشيات مرهونا بقدرة المجتمع الدولى والعربى على التعاون وتنسيق الجهود من أجل تسوية الأزمات السياسية بالمنطقة والقضاء على مبررات وجودها وتجفيف مصادر تمويلها.

ويؤكد «بشير» أن استمرار وجود هذه الميليشيات يشكل تهديدًا خطيرًا للمنطقة برمتها، يفوق تهديد إيران لامتلاك السلاح النووي، فهذه الميليشيات تقود المنطقة، فى حال عجز المجتمع الدولي عن السيطرة عليها، إلى حروب إقليمية على جبهات متعددة، فهناك تهديد متزايد على الحدود السعودية – اليمنية، وتهديد متزايد على الحدود العراقية – السعودية، وتهديد متزايد على الحدود العراقية – الكويتية، وبذلك تحاول هذه الميليشيات استدراج الجيوش العربية على أكثر من جبهة، وهو ما يمثل تهديدا خطيرا للأمن القومي العربي.

سجل أسود لـ «خلايا إيران» في البحرين

الجماعات الشيعية المدعومة من طهران نفذت 29 ألف عمل تخريبي في المملكة خلال 10 سنوات

■■ تعرضت مملكة البحرين على مدار أربعة عقود من الزمن، لتدخلات إيرانية عدوانية في شؤونها الداخلية، عبر استهداف للبلاد، من أجل زعزعة أمنها واستقرارها، وإنشاء تنظيمات إرهابية، وتمويلها وتسليحها لإحداث الفوضى، والمساس بالأمن القومي البحريني.

وصنّفت البحرين 6 خلايا وجماعات على «قوائم الإرهاب» لديها، جميعها على صلة وثيقة بـ «الحرس الثوري»، وهي: «ائتلاف شباب 14 فبراير، وسرايا الأشتر، وسرايا المقاومة الشعبية، وحزب الله البحريني، وسرايا المختار، وحركة أحرار البحرين».

وكشفت المنامة عن تورط طهران في دعم الميليشيات الإرهابية بالأسلحة والمتفجرات، والتحريض في ارتكاب العديد من حوادث العنف والتخريب، بلغ عددها أكثر من 29 ألف عمل تخريبي خلال عشر سنوات، نتج عنها استشهاد 35 مدنيًا ورجل أمن، وإصابة 3500، منها إصابات بعاهات مستديمة، وتخريب العديد من المنشآت والممتلكات العامة والخاصة من محطات كهرباء وأبراج اتصالات ومؤسسات تعليمية ومصرفية وقطع الطرق.

وسعى النظام الإيراني بعد ثورة الخميني مباشرة إلى التدخل في الشأن البحريني، بدعوى «مناصرة» أبناء الطائفة الشيعية في البلاد، وذلك من خلال تقديم الدعم إلى بعض الجماعات المتطرفة، وأخطرها هو تنظيم «سرايا المختار» الذي يؤمن بمبدأ «ولاية الفقيه» ويتبع المرشد الأعلى في إيران علي خامنئي، كما أن شعار التنظيم

هو نفسه شعار «الحرس الثوري» الإيراني.

وجاء الدليل القاطع على هذا الولاء لإيران، مما أكدته ميليشيا «سرايا المختار» نفسها، في بيان لها صدر 3 يوليو/تموز 2016، في ذكرى رحيل الخميني، من أنها ملتزمة بالولاء لنهج الخميني، والسير على طريقه وتحقيق أهدافه، و«التمسك بالنهج المقاوم الممهد لدولة العدل الإلهية لمولانا صاحب العصر والزمان».

وجاء في البيان: «تمر علينا هذه الذكرى العظيمة، ونحن في اطمئنان بأن النهج الخميني الثائر في مستودع أمين لدى هذا الشعب المخلص لدينه وأمته ولدى قيادة ربانية عظيمة لم تخضع يومًا للإمبريالية الصهيونية العالمية، ونحن إذ نمر في أقسى المراحل وأشدها صعوبة إلا أننا نرى بركات هذه الثورة المقدسة التي فجرها الإمام الخميني تدمر مشاريع الاستعمار وأذنابه من دويلات الأعراب»!

أسلوب «حرب العصابات»

تأسست ميليشيا «سرايا المختار» الشيعية أواخر عام 2011، على خلفية ما سُميّ بـ «ثورات الربيع العربي»، واعتمدت الميليشيا أسلوب حرب العصابات والهجمات الإرهابية الخاطفة والتفجيرات ضد الأهداف المدنية وقوات الأمن.

بدأ تنظيم «سرايا المختار» بتنفيذ عمليات إرهابية عبر تفجير عبوات وقنابل موقوتة ضد قوات الأمن البحرينية وقوات «درع الجزيرة» في يوليو/تموز 2011. ونفذت «سرايا المختار» عددًا من العمليات الإرهابية الدامية، منها إحراق البنك الوطني البحريني، والهجوم على 3 مراكز للشرطة البحرينية واستهداف قوات الأمن بعبوات متشظية.

واعترفت «سرايا المختار» بامتلاكها أسلحة، وعبوات، وألغامًا وصواريخ محلية الصنع، ومهربة من الخارج وهي: (مختار1، وبتار1، وعاصف: لغم مضاد للأفراد، وشرف1: صاروخ محلي الصنع، وصياد1: عبوة انشطارية، وسعير1: عبوة حارقة).

وفي 30 ديسمبر/كانون الأول 2013، اعترضت قوات خفر السواحل البحرينية زورقًا سريعًا كان قادمًا من العراق، محمّلًا بأسلحة ومتفجرات معدة للمتطرفين الشيعة في البحرين. وعلى رأسها ميليشيا «سرايا المختار». وكان من بين المواد المُصادرة 50 قنبلة إيرانية الصنع، وما يقرب من 300 عبوة ناسفة مكتوب عليها «صُنع في سوريا».

وبعد ضبط القارب، داهمت السلطات البحرينية مخازن أسلحة مشتبه بها، وكشفت كمية ضخمة من المتفجرات، إلى جانب صواعق تفجير تجارية صُنعت في سوريا، وبنادق، ومواد لصنع القنابل. أدت المداهمات إلى إلقاء القبض على سبعة عشر شخصًا.

وأصدرت المحكمة الكبرى الجنائية البحرينية الرابعة، في 27 يونيو/حزيران 2016، حكمًا في قضية الانضمام إلى جماعة إرهابية على خلاف أحكام القانون بما يسمى بـ «سرايا المختار» وحيازة وإحراز واستعمال مفرقعات وأسلحة بغير ترخيص تنفيذًا لغرض إرهابي، بمعاقبة ثلاثة متهمين بالسجن لمدة خمس عشرة سنة وتغريم المتهم الثاني بمئتي ألف دينار وإسقاط الجنسية عن جميع المتهمين ومصادرة المضبوطات.

وفي يونيو/حزيران 2017، صنفت كل من مصر والسعودية والإمارات البحرين، «سرايا المختار» كتنظيم إرهابي، وأكدت الدول الأربع أنها لن تتهاون في ملاحقة الأفراد والجماعات، وستدعم السبل كافة في هذا الإطار على الصعيدين الإقليمي والدولي، وستواصل مكافحة الأنشطة الإرهابية واستهداف تمويل الإرهاب أيًا كان مصدره، كما ستستمر في العمل مع الشركاء في جميع أنحاء العالم بشكل فعّال للحد من أنشطة المنظمات والتنظيمات الإرهابية والمتطرفة.

إرهاب إيراني في البحرين

في 22 يناير/كانون الثاني 2018، كشف وزير الداخلية البحريني عن معلومات أمنية تتعلق باستهداف بلاده من منظمات إرهابية عابرة للحدود، تديرها عناصر موجودة في إيران تنسق بدورها مع «الحرس الثوري» الإيراني و«الحشد الشعبي» في العراق و«حزب الله» في لبنان، من أجل تدريب العناصر التي تنفذ الأعمال الإرهابية في البحرين.

وأدرجت وزارة الخارجية الأمريكية، «سرايا المختار» على قائمة التنظيمات الإرهابية في ديسمبر/كانون الأول 2020. وقالت الوزارة في بيان لها: «إن سرايا المختار هي منظمة إرهابية مدعومة من إيران ومتمركزة في البحرين، وتشير التقارير إلى أنها تتلقى الدعم المالي واللوجستي من الحرس الثوري الإيراني. يتمثل هدف سرايا المختار بحسب الجماعة نفسها بإسقاط الحكومة البحرينية بقصد تمهيد الطريق لإيران حتى تمارس نفوذًا أكبر في البحرين».

وفي يناير/كانون الأول 2021 قضت إحدى المحاكم البحرينية بالسجن المؤبد لـ 8 متهمين، لإدانتهم بتشكيل خلية إرهابية تحت مسمى «سرايا قاسم سليماني» مدعومة من «الحرس الثوري» بغرض تنفيذ عدة عمليات إرهابية في البحرين. وقضت المحكمة بالسجن 15 عامًا على متهمَين، و10 أعوام على متهمين، والسجن 5 أعوام على خمسة متهمين، و7 أعوام لمتهم، في قضية ضمت 18 شخصًا بينهم فارّون خارج البلاد.

وكانت النيابة العامة البحرينية باشرت التحقيق في القضية بعد القبض على عدد من المتهمين في النصف الثاني من يناير عام 2020، وفي ضوء ما أسفرت عنه التحريات من أن بعض المتهمين الرئيسين فرّوا من البحرين، واستقروا في إيران وتلقوا الدعم المالي واللوجستي من «الحرس الثوري».

وذكرت النيابة أن المتهمين قاموا بتأسيس جماعة لارتكاب عمليات إرهابية داخل المملكة، وتجنيد بقية المتهمين الذين انضموا إلى تلك الجماعة لاحقًا، وشرعوا بارتكاب جرائم في إطار ذلك النشاط؛ بهدف بث الرعب بين الناس وإشاعة الفوضى في أوساط المجتمع وإضعاف مقومات الدولة، إذ خططوا لإحداث تفجيرات في المملكة واستهداف رجال الأمن، وقد تلقى بعضهم التدريب على استخدام الأسلحة النارية والمتفجرات لاستعمالها في تنفيذ مخططاتهم الإرهابية.

■ المصادر:

1 - خلايا إيران تتساقط بالبحرين.. رسائل مهمة من المنامة، موقع بوابة العين، 22 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

2 - بيان سرايا المختار بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الامام الخميني، العربي برس، 3 يونيو/حزيران 2013.

3 - "الجرائم الإرهابية"؛ 15 سنة وإسقاط الجنسية للانضمام لـ "سرايا المختار"، الوسط، 12 مايو/أيار 2017.

4 - منها "عرض مكافآت لاغتيال مسؤولين بحرينيين".. أمريكا توضح أسباب إدراج "سرايا المختار" بقائمة الإرهاب، موقع سي إن إن بالعربية، 16 ديسمبر/كانون الأول 2020.

«حزب الله الحجاز».. الإرهاب في بلاد الحرمين

المتطرفون الشيعة كانوا وراء «تفجير الخُبر» الذي أسفر عن مقتل 19 جنديًا أمريكيًا وإصابة 372 آخرين

■■ بعد انـدلاع الثورة الإيرانية عام 1979، وجّه موسوي الخميني دعوات تحريضية إلى شيعة دول الخليج، والسعودية بوجه خاص، داعيًا إياهم لـ «تصدير الثورة» إلى هذه الدول. ولقيت هذه الدعوات استجابة سريعة من بعض المجموعات الشيعية المتطرفة، فتم تأسيس ما يُسمى «منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية» برئاسة حسن الصفار، قبل أن تتحول في وقت لاحق إلى «منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية».

وفي عام 1987، تم إنشاء الجناح العسكري لـ «منظمة الثورة الإسلامية» تحت اسم «حزب الله الحجاز»، لكي يصبح هذا التنظيم هو المسؤول عن العمليات الإرهابية في السعودية، من خلال التنسيق مع «الحرس الثوري» وبإشراف من ضابط الاستخبارات الإيرانية أحمد شريفي، الذي تولى تجنيد بعض الشيعة السعوديين الذين كانوا يدرسون في حوزة «قم» وقتها.

وتشكّل «الحزب» من عدة خلايا منفصلة، بما لم يتجاوز الأربعة أشخاص في كل خلية، إلا أنه يستفيد من خطاب تيار «خط الإمام» للتعبئة والتجنيد، ومن عناصره التي يستقطبها، وهو منذ تأسيسه يعد «الولي الفقيه» قائدًا شرعيًا لعموم المسلمين، مفترضًا الطاعة في جميع شؤونهم وأمورهم، وأن «كل إهانة توجه للجمهورية الإسلامية الإيرانية،

وكل خطر تتعرض له، وكل حرب تشن عليها تعتبر تعديًا على العالم الإسلامي بأسره»!

وبـدأت مرحلة التدريب على السلاح، والتي جرت في سوريا وإيران وجنوب لبنان على يد «حزب الله» اللبناني، حيث تعلم أعضاء «حزب الله الحجاز» استخدام مختلف أنواع الأسلحة، وباتوا خبراء في التعامل مع المتفجرات، ليصبح كل شيء جاهزًا للبدء في الخطوة التالية والمتمثلة في تنفيذ عمليات عسكرية في الداخل السعودي، تنوعت بين تفجير منشآت نفطية، وهجمات ضد الأجانب واغتيال دبلوماسيين في الخارج.

تفجيرات «الجبيل»

توالت عمليات الحزب مستغلة وجود عملاء لها ضمن منشآت النفط السعودية، ففي مـارس/آذار 1988، نفّذ الحزب تفجيرًا في إحدى منشآت شركة «صدف» البتروكيماوية في مدينة الجبيل، من خلال أربعة من عملائه، هم: علي عبد الله الخاتم، وأزهر الحجاجي، وخالد العلق، ومحمد القاروص.

وكان «الخاتم» أحد المنفذين؛ يعمل في شركة «صدف» السعودية، وسبق له القتال مع «حزب الله» اللبناني في لبنان، وتـدرّب هناك على عمليات التفجير، وبعد تفجير صدف اكتشف حراس شركات البترول والبتروكيماويات شرق السعودية العديد من المتفجرات وفي أماكن متعددة، في معمل التكرير في رأس تنورة، ورأس الجعيمة.

وشـرع «حـزب الله الحجاز» أيضًا في تنفيذ عمليات خارجية ضدّ دبلوماسيين سعوديين، ومنها قتل دبلوماسيين في سفارات سعودية عديدة من بانكوك إلى أنقرة. لم يعلن الحزب مسؤوليته عن هذه العمليات، بل استخدم أسماء لمنظمات غير موجودة بالفعل، مثل: «جند الحق» و«منظمة الحرب المقدسة».

ونفذ التنظيم الكثير من العمليات في الخارج ضد دبلوماسيين سعوديين، تعرضوا لاعتداءات في أكثر من 20 عملية في بلدان مختلفة بدأت باغتيال السكرتير الثاني في السفارة السعودية في تركيا عام 1988، وفي العاصمة التايلاندية بانكوك حيث قتل السكرتير الثالث بالسفارة السعودية عبد الله المالكي في الرابع من يناير/كانون الثاني 1989. وفي الأول من فبراير/شباط 1990 قتل الدبلوماسيون السعوديون الثلاثة، عبد الله البصري، وفهد الباهلي، وأحمد السيف، بفارق نحو 5 دقائق بين كل واحد منهم. ولم يُلق القبض على أي مشتبه به. وبعد أحد عشر يومًا اختفى رجل الأعمال السعودي محمد الرويلي، صديق الدبلوماسيين القتلى.

خلايا «حزب الله الحجاز»

في 25 يونيو/حزيران 1996؛ انفجرت شاحنة مـملـوءة بـعـدة أطـنـان مـن مـادة الـ «تـي إن تـي» بالقرب من مجمّع أبراج الخُبر، وهو مجمع سكني كان مقرًا للقوات الجوية الأمريكية في قاعدة الظهران وقتها، ما أسفر عن مقتل 19 جنديًا أمريكيًا، وجرح 372 آخرين، وأصيب المئات من جنسيات متعددة. وبعد ذلك بوقت قصير؛ بدأت الحكومة السعودية بإلقاء اللوم على «حزب الله الحجاز».

ولـم يـطـل الـوقـت حـتـى تمكنت الحكومة السعودية من تفتيت خلايا متعددة لـ «حزب الله الحجاز»، واعتقلت كثيرين من أفراده، كما تمّ تنفيذ حكم الإعدام بالسيف بحق الأربعة المسؤولين عن تفجير شركة «صدف».

وفي السابع من مـارس/آذار 2014 أعلنت وزارة الداخلية السعودية في بيان لها «حزب الله الحجاز» تنظيمًا إرهابيًا، مع عدة تنظيمات شيعية أخرى، وجرّم البيان من يؤيدها أو يمولها أو يُبدي التعاطف معها أو يستخدم شعاراتها ورمـوزهـا ومـن يتبنى أفكارها المتطرفة.

وبعد أعوام طويلة من اختفائه، سعت إيران إلى إعادة إحياء «حزب الله الحجاز». في 8 يونيو/حزيران 2018، أصدرت المحكمة الجزائية المتخصصة في الرياض، حكمًا ابتدائيًا بإعدام أربعة سعوديين، أدينوا بالتخابر مع إيران ضد المصالح السعودية، واشتركوا في تأسيس خلية إرهابية داخل السعودية، تحت إمـرة أحمد المغسل، مهندس تفجير أبراج الخبر 1996، وتلقي تدريباتهم في طهران ومشهد وقم، والعمل على إعادة إحياء «حزب الله الحجاز».

وأقر المدان الخامس في القضية، بإنشاء مكتب للسياحة والسفر، يهدف إلى إرسال الشباب والشابات لتلقي دورات تخدم المظاهرات في محافظة القطيف، التي تسمى «الحرب الناعمة» والتي تهدف إلـى تنظيم التجمعات المثيرة للشغب وكيفية إدارتـهـا، وكيفية إقناع الشباب بأهمية دور تلك التجمعات لتأجيج الرأي العام ضد الدولة عبر غطاء المطالبة بالحقوق، حيث قاموا بتوفير مقر إقامة للشباب والشابات في فندق أطلس وفندق إيران.

وكان المغسل يريد تكرار سيناريو تفجيرات «الخُبر»، حيث كلّف أتباعه بالبحث عن مواد تتضمن، بـودرة الألمنيوم الموجودة في محلات الأصباغ بالدمام، وبرمنجات البوتاسيوم الموجودة في محلات غسيل الخزانات بالدمام، ومـادة الكبريت الأصفر الموجودة في محلات بيع الأعشاب بالدمام، ولم يتم العثور عليها، ثم سلم المغسل للمدان الثاني، هاتفًا محمولًا من نوع (بلاك بيري)، من أجل التواصل معه لوضع صور توضح طريقة التعامل مع المواد المتفجرة، كما سلم له مبلغ 3750 دولارًا، لتوفير مكان آمن لتجهيز المواد بعد الحصول عليها.

وأقـر المدان الثاني في القضية، أن مهندس تفجيرات أبراج الخُبر 1996، أخذه إلى بيت الخميني في إيران، ومقبرة فيها مجموعة من القبور لأناس من القطيف والأحساء شاركوا في الحرب العراقية الإيرانية تشجيعًا له ليحذو حذوهم.

وبعد أكثر من 19 عامًا، من الهروب والتخفي في دول عدة من بينها إيران والعراق، نجحت قوات الأمن السعودية في إلقاء القبض على «المغسل». وباعتقاله، أغلقت السعودية ملف «حـزب الله الحجاز»، ولم يتبق هاربًا سوى عبد الكريم الناصر، الذي تم رصد مكافأة 5 ملايين دولار، لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض عليه، ويعتقد أنه لا يزال مختبئًا في إيران.

وإثـر القبض على كثير من رمـوز هذا الحزب، ورجوع بعض رموز المعارضة الشيعية من «منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية»، قرّر الحزب مواصلة العمل السياسي والإعـلامـي في الخارج، ولا يـزال الحزب إلى الآن يقوم بإصدار النشرات التحريضية والـدعـوات الداعية للعنف، كما أنّ له موقعًا على الإنترنت يقوم فيه بجمع ونشر إصداراته، التي لا يهتم بها أحد.

التنظيم نفذ تفجيرًا إرهابيًا كبيرًا في إحدى منشآت شركة «صدف» البتروكيماوية في مدينة الجبيل

■ المصادر:

1 - أذرع حزب الله في السعودية والخليج.. المذهبية في خدمة المطامع الإيرانية، حفريات، 11 يوليو/تموز 2019.

2 - الإعـدام لـ 4 سعوديين خططوا لإعـادة إحياء «حزب الله الحجاز» الشرق الأوسط، 8 يونيو/حزيران 2018.

3 - حزب الله الحجاز.. هل تستيقظ الخلايا النائمة؟ الراصد، 23 أكتوبر/تشرين الأول 2014.

4 - «حزب الله الحجاز».. 40 عامًا من التصدير الأممي لولاية الفقيه والتثوير بالسلاح، موقع الشرق الأوسط، 11 مارس/آذار 2014.

«ألوية الوعد الحق».. الإرهاب العابر للدول

التنظيم «اللُغز» أعلن مسؤوليته عن هجمات بطائرات مُسيّرة على منشآت مدنية في كل من الرياض وأبوظبي

■■ ينشط في العراق، خلال الآونة الأخيرة، فصيل إرهابي شيعي موالي لإيران يُسمي نفسه «ألوية الوعد الحق» سبق وأعلن في بيانات إعلامية مسؤوليته عن هجمات بطائرات مُسيّرة على منشآت مدنية في الرياض العام الماضي، وعلى مدينة أبوظبي مطلع هذا العام، كما نظمّ حملات علنية لجمع التبرعات لصالح جماعة «الحوثي» الإرهابية اليمنية، الأمر الذي أثار الكثير من التساؤلات عن الجهات التي تقف وراء هذا الفصيل، الذي لا يُعرف عنه إلا القليل، ويُعتقد أنه يرتبط بالميليشيات العراقية المقربة من «فيلق القدس» التابع لـ «الحرس الثوري».

وتشير بعض القنوات الإعلامية التابعة لإيران في العراق ولبنان، إلى «ألوية الوعد الحق» بعبارة «ألوية الوعد الصادق» بما يحمل المعنى نفسه. وربما يشير ذلك، حسب المراقبين، إلى أن تسمية الجماعة ربما لم تكن في الأصل باللغة العربية، وأنها كانت بالفارسية أولًا.

وذكرت دراسة لـ «معهد واشنطن» أن هناك الكثير الأدلة التي تُظهر أن «ألوية الوعد الحق» لديها روابط فريدة مع «كتائب حزب الله العراق»، بناءً على تحليل الروابط الإعلامية بين القنوات التي تديرها «الألوية» و«الكتائب» كلٌ على حدة، مشيرة إلى أن السيطرة المباشرة لـ «فيلق القدس» التابع لـ «الحرس الثوري» على هذه الميليشيا، ربما تكون البديل الواقعي لذلك.

مسؤول في «الألوية» يعترف:
قطع الطائرات جاءت من إيران.. وتمّ تجميعها وإطلاقها من العراق

الطائرات.. صناعة إيرانية

تبنّى التنظيم في بيانه الأول في 24 يناير/كانون الثاني 2021 هجومًا بطائرات مسيرة على قصر اليمامة في الرياض، حيث ادّعى مسؤول في الميليشيا خلال حديث له مع وكالة «أسوشيتدبرس» أنه تمّ إطلاق 3 طائرات بدون طيار من المناطق الحدودية العراقية - السعودية من قبل فصيل غير معروف نسبياً مدعوم من إيران في العراق، في إشارة إلى «ألوية الوعد الحق»، حيث تحطمت هذه الطائرات في المجمع الملكي بالرياض.

ونقلت وكالة «أسوشيتد برس» الأمريكية، في حينه، عن مسؤول في «الألوية» قوله: إن «قطع الطائرات المسيرة جاءت من إيران وتمّ تجميعها وإطلاقها من العراق»، وذلك في أعقاب الهجوم على قصر اليمامة في الرياض، ما يؤكد اعتراف هذا الفصيل بتلقيه الدعم من إيران وتنفيذه سياسات طهران في منع العراق من العودة الى محيطه العربي والإقليمي.

وفي بيانه الثاني، بارك التنظيم هجوم جماعة الحوثي الإرهابية على أبوظبي في السابع عشر من يناير/كانون الثاني 2021 بطائرات مسيرة أصابت صهاريج لنقل المواد النفطية في منطقة مصفح الصناعية، وأدت إلى حريق قرب مطار أبوظبي. بينما أعلنت في بيانها الثالث مسؤوليتها عن الهجوم بأربع طائرات مسيرة على منشآت حيوية في أبوظبي، وهو ما لم تؤكده الجهات الرسمية الإماراتية.

وأعلنت الجماعة مسؤوليتها عن هجوم آخر استهدف الإمارات في فبراير/شباط الماضي 2022، حيث تبنت الهجوم على العاصمة الإماراتية أبو ظبي بـ 4 طائرات مسيرة، وذلك قبل إعلان وزارة الدفاع الإماراتية عن إسقاط 3 مسيّرات منها. وقالت الجماعة في بيان نشرته على قناتها عبر تطبيق «تلجرام» إن «أبناء الجزيرة العربية وجهوا ضربة إلى الإمارات، بواسطة أربع طائرات مسيّرة استهدفت منشآت حيوية في أبو ظبي».

وقال المحلل السياسي مايكل نايتس من «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» معلقًا على الهجوم الأخير الذي استهدف الإمارات في تغريدة على «تويتر»: «إذا كانت ألوية الوعد الحق قد خرجت من مكامنها ونفذت بالفعل هجمات بطائرات مسيرة على الإمارات، فإن هذه العملية إما تكون بتوجيه من إيران أو على الأقل سمحت بها إيران».

وقوبلت الهجمات التي نفذتها «جماعة الحوثي وألوية الوعد الحق» على أهداف في أبوظبي بمباركة وترحيب من معظم قيادات الميليشيات المسلحة الحليفة لإيران. في حين، وصف رئيس التيار الصدري مقتدى الصدر ألوية الوعد الحق بأنها مجموعة من الإرهابيين الخارجين عن القانون، وطالب حكومة مصطفى الكاظمي باتخاذ إجراءات حازمة مع هؤلاء لئلا يحدث ما لا يحمد عقباه.

وأكد «الصدر» في تغريدة على حسابه الشخصي في «تويتر» على أن «العراق بحاجة للسلام والهيبة وعدم التبعية لأوامر الخارج، ومن المهم ألّا يكون منطلقًا للاعتداء على دول الجوار والدول الإقليمية».

«الألوية» اسم وهمي

من جهة ثانية، يقول محللون سياسيون إن «الألوية» اسم وهمي لا يتعدى كونه غطاء لإحدى الميليشيات المسلحة المتحالفة مع إيران، والتي تنفذ العمليات بأوامرها ووفق أجندتها. يُعتقد أن ألوية الوعد الحق هي واجهة إعلامية لتبني عمليات كتائب حزب الله العراقية تجنبها ردود فعل متوقعة

وكانت الإمارات والسعودية قد شاركتا إلى جانب دول عربية أخرى بحضور جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي ودول إقليمية في قمة بغداد للتعاون والشراكة في الثامن والعشرين من أغسطس/آب 2021 لدعم جهود الحكومة العراقية في تعزيز مؤسسات الدولة وفقًا للآليات الدستورية، وتأكيد اعتماد العراق سياسة التوازن والتعاون الإيجابي في علاقاته الخارجية.

ويرى المراقبون أن «ألوية الوعد الحق» التي أعلنت مسؤوليتها عن هجمات على الرياض وأبوظبي، ونظمت حملات علنية لجمع التبرعات لجماعة «الحوثي» الإرهابية، هي واجهة لفصائل شيعية مسلحة تتمتع بنفوذ واسع في مؤسسات الدولة العراقية الأمنية والعسكرية. وأن هذا النفوذ يجعلها بعيدة عن ملاحقة الأجهزة الأمنية العراقية، التي يبدو أنها «غير مؤهلة» لاتخاذ إجراءات رادعة ضد تلك الفصائل والجماعات المسلحة الموالية لإيران.

ومنذ عام 2019، ظهرت في العراق مجموعات مسلحة، وزادت من نشاطاتها بعد اغتيال قاسم سليماني قائد «فيلق القدس» وأبومهدي المهندس نائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي»، بقرار من الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب في يناير/كانون الثاني 2020.

و«ألوية الوعد الحق» هي من بين المجموعات الشيعية المسلحة التي ظهرت خريف عام 2019 كمجموعات تتبنى هجمات بالصواريخ أو بالطائرات المسيرة على قواعد عراقية تستضيف قوات أمريكية، أو على أرتال الدعم اللوجستي لقوات التحالف الدولي.

ومن أهم تلك الميليشيات المسلحة، «أصحاب الكهف وعصبة الثائرين وقبضة المهدي وسرايا ثورة العشرين الثانية وقوات ذوالفقار وسرايا المنتقم وأولياء الدم وثأر المهندس وقاصم الجبارين، والغاشية»، ومجموعات أخرى بعضها تبنى عملية واحدة أو عمليتين فقط.

ويؤكد المحللون أن هناك مؤشرات على ارتباط «ألوية الوعد الحق» بكتائب حزب الله العراق، إحدى أقوى وأكبر المجموعات الشيعية العراقية المسلحة الحليفة لإيران، حيث يُعيد حساب أبوعلي العسكري المسؤول الأمني للكتائب نشر بيانات «الألوية» على الإنترنت.

من جانبها، نظمت كتائب «حزب الله العراق» حملات علنية في الشوارع وفي مقراتها للتبرع بالمال لصالح جماعة «الحوثي» لدعم الهجمات على الإمارات والسعودية، وهو نهج مطابق تمامًا لـ «ألوية الوعد الحق» التي تستهدف الدولتين معا.

■ المصادر:

1 - هجمات "ألوية الوعد الحق" العراقي بالمنطقة .. لصالح من؟ (تحليل)، موقع وكالة الأناضول، 28 فبراير/شباط 2022.

2 - لمحة عامة عن «ألوية الوعد الحق»، موقع معهد واشنطن للدراسات، 21 أبريل/نيسان 2021.

3 - ألوية الوعد الحق الاسم الحركي لميليشيا إيران، موقع العرب، 1 مارس/آذار 2022.

«عسكرة التشيّع».. أخطر تهديد للأمن القومي العربي

■■ ما إن استولى «نظام الملالي» على الحكم في إيران، بعد نجاح ثورة 1979، حتى اختّط الخميني ورفاقه طريقًا جديدًا لأتباع المذهب الشيعي في الخارج، عن طريق «عسكرة التشيّع» وإنشاء جماعات شيعية مسلحة، من أجل «تصدير الثورة» إلى البلدان المجاورة، وإيجاد موطأ قدم لطهران في هذه الدول، تستطيع من خلاله السيطرة على مقدرات المنطقة العربية برمتها.

وكان هذا الطريق بمثابة «بوصلة سير» تجاه تنفيذ الاستراتيجية الإيرانيَّة العليا، باستخدام أدوات مختلفة وأساليب متنوعة تحت مظلة مذهبية شيعية تصب جميعها في خدمة المشروع الطائفي، وذلك عبر تأليب وتحريك الحشود الشيعية لتنفيذ المخططات الإيرانية العابرة للحدود في دول ما يُسمى «الهلال الشيعي»، وهي سوريا، والعراق، واليمن، ولبنان، وأجزاء من الخليج العربي، فباتت سياسة «عسكرة التشيّع» أخطر تهديد للأمن القومي العربي.

وكانت سياسة «عسكرة التشيّع» تعتمد على عدة أدوات عمد النظام الإيراني إلى ترسيخها وإعدادها دومًا، لتفعيلها حيثما استطاع، ومن هذه الأدوات تدريب الأقليات الشيعية الموجودة في المنطقة العربية وخارجها، ويشمل هذا التدريب استخدام الأسلحة في المعارك، بالإضافة إلى تأهيل هذه الأقليات عسكريًا بهدف إقحامهم في القتال داخل دولهم، من أجل خدمة المشروع الإيراني التوسعي العابر للحدود.

ولتحقيق هذه الأهداف غير المعلنة، عمدت إيران إلى «عسكرة» المجموعات السكانية الشيعية في الخارج، وتحويلها إلى وضعية قادرة على الوصول إلى سلطة الحكم في بلدانها بقوة السلاح، إن تمكنت أو تفكيك وإضعاف الدول التي تعيش فيها تلك المجموعات السكانية، لتصبح إيران في وضع أقوى، فيما تدخل تلك الدول في وضع الجاهزية للاحتلال، عبر افتقادها القدرة على مواجهة النظام الإيراني.

الحكم بقوة السلاح

مضى الملالي قُدمًا نحو استحداث أذرع عسكرية جديدة مؤدلجة في الدول المستهدفة، ضمن المجالات الحيوية لإيران، بحيث يكون لها اليد الطولي في تنفيذ الأجندة الإيرانية التوسعية في هذه الدول، مع صبغ هذه الأذرع العسكرية سواء في الداخل أو في الخارج بصيغ عقائدية، على نحو يدفع مقاتليها للدفاع عن الاستراتيجية الإيرانية عقائديًا ومصلحيًا، ودفع هذه الأذرع نحو التحرك عسكريًا ضد الأنظمة الحاكمة المعارضة للأجندة

المخطط الإيراني يدرك أنه لا إمكانية لبناء «إمبراطورية شيعية» إلا بإضعاف الكيان الإسلامي كله

الإيرانية في الدول المستهدفة بمجالاتها الحيوية، أو لدعم الأنظمة أو الأذرع الشيعية الموالية لإيران، بغض النظر عما ستؤول إليه هذه الدول من الانهيار المؤسساتي جراء الاقتتال المذهبي، وانتشار التنظيمات الإرهابية، وحركات النزوح الجماعي غير المنظم وتفاقم النزعات الانفصالية.

بعد تدريب وإعداد وتسليح المجندين من الدول غير المستقرة، أو من شيعة الدول المستهدفة ذاتها، جاءت مرحلة التنظيم والتكوين في تجمُّعات ميليشياوية تحمل السلاح، إما لدعم نظام ما يدين بالولاء لمن يدير مخطّط التجمعات الميليشياوية، أو ضد نظام آخر لم يدِن بالولاء لطهران ويرفض تنفيذ المخططات الإيرانية التوسعية.

وظهرت التوجهات الطائفية في شكل شعارات وتسميات كثيرة ذات دلالات مذهبية، وفي أسماء الألوية والكتائب ومعسكرات تدريب القوات المسلحة الإيرانية بشكل عام. ومن هذه الأسماء لواء «ولي العصر» ولواء «ثأر الله» وفيلق «عاشوراء» وغيرها من الأسماء الموجهة أيديولوجيا والمثيرة للنعرة الطائفية لدى المتطرفين الشيعة.

ولم يكتف النظام الإيراني في هذا الجانب بإطلاق هذه التسميات الطائفية على الفرق والميليشيات الشيعية، بل أطلقها بالمثل على عديد من الألوية التي أنشأها «الحرس الثوري» من مقاتلي دول أخرى، مثل لواء «فاطميّون» الأفغاني، ولواء «زينبيون» الباكستاني، وهما لواءان من مسلحين كانوا يقاتلون في سوريا تحت إمرة «فيلق القدس».

ويرى بعض الباحثين أن استراتيجية «عسكرة التشيع» تعتمد مجموعة من الخطط، أو حزمًا من الخطوات والإجراءات لا يقتصر تنفيذها على دول المحيط الجغرافي لدولة المركز (إيران) فقط، بل هي حركة تتمدد في كل أنحاء العالم الإسلامي، فنحن لسنا أمام بناء إمبراطوري فارسي ذي طبيعة إقليمية، بل أمام خطة بناء قوة إمبراطورية على الصعيد الدولي، كما أن المخطط الإيراني يدرك أنه لا إمكانية لبناء «إمبراطورية شيعية» إلا بإضعاف الكيان الإسلامي كله.

وجرى بناءً على هذه المخططات، زرع آلاف الكوادر في عشرات البلاد، وكان طبيعيًا أن يجري الاهتمام بعمليات تطوير النشاط بمناطق محددة وفى بلدان محددة قبل غيرها، دون إخلال بفكرة التوسع في جميع الدول، فكانت لبنان والعراق في المقدمة لأسباب تتعلق بدورها بالاستراتيجية الإيرانية، وكان للخليج مكانه في تلك الخطط مع إعطاء الاهتمام بمملكة البحرين أولا، للقرب الجغرافي ولأبعاد تتعلق بوجودها في طرف الخليج، ولوجود نسبة سكانية غير قليلة من الشيعة.

وأخذ نظام الملالي في ترسيخ التوجهات العسكرية داخل المذهب الشيعي، أي جعل التوجّه العسكري أساسا من أساسات هذا المذهب، لا يقوم الأخير بدونه، بالإضافة إلى أنه جعل ذلك التوجّه عنصرًا أساسيًا وحيويًا في ترويج أيديولوجيا ولاية الفقيه، وما يسمى في أبجديات نظام الملالي بـ «تصدير الثورة» حتى إنه صار جزءًا من الدستور الإيراني، إضافة إلى «التجييش الطائفي» ورفع وتيرته في المنطقة العربية، سعيًا وراء مدّ الأذرُع الإيرانية، عسكرية كانت أو دينية، في المنطقة، وفي عديد من دول العالم.

الميليشيات.. إيران أولا

شكلّت إيران ميليشياتها المسلحة في العراق منذ وقت مبكر، إذ دربت بشكل دائم كوادر شيعية عراقية على أرضها، ومن ثم صارت تدفع بها طوال الوقت إلى داخل العراق، فقاموا في البداية بارتكاب أعمال إرهابية، لكن الأمر تطور دومًا باتجاه تعميق حالة عسكرة التشيع. فحين اندلعت الحرب العراقية- الإيرانية، ووقت أن ساد الاعتقاد بتركيز إيران على بناء وتطوير جيشها وتسليحه خلال الحرب، فقد أثبتت أحداث حرب الخليج الثانية وحرب «تحرير الكويت» من بعد، مدى ما أولته إيران من أهمية دائمة لم تنقطع بتشكيل وتقوية ميلشياتها، إذ ظهرت تلك الميلشيات واندفعت من الحدود الإيرانية لتشارك في الأعمال القتالية، ولتعلن تمردا عاما في جنوب العراق.

ومع إطلاق الولايات المتحدة حربها لاحتلال العراق عام 2003، تحركت تلك الميلشيات العسكرية وحشدت المواطنين الشيعة في داخلها وخلفها لمساندة الاحتلال الأمريكي للعراق، كما توسع تشكيل تلك الميلشيات ما بعد الاحتلال حتى صارت جاهزة لتشكل محور الأساس في بناء جيش الاحتلال، كما ظهر الأمر جليًا أو أكثر جلاءً، حين تعرض هذا الجيش للانهيار، إذ شكلت إيران «الحشد الشعبي» الذى بات محور العمل العسكري ضد السنة في العراق، أما الكاشف الأكبر فهو هذا التكاثر الفطري لظاهرة الميلشيات الإيرانية فى العراق، حتى وصل الأمر بها حد التصدير لتلعب ذات الدور في سوريا، بعد اندلاع الثورة السورية ضد نظام الأسد الموالي طائفيًا ومصلحيًا لإيران.

وكشفت تجربة «عسكرة الشيعة» في سوريا، أن إيران أوفدت مجموعات شيعية من أفغانستان وباكستان ومن دول «الاتحاد السوفيتي» السابق، لكي تشارك في الصراع الجاري في سوريا من جهة، ولتكون نواة عسكرة المجموعات السكانية الشيعية في البلاد التي قدِمت منها، من جهة أخرى.

ومن ثم، جاء العمل بعد ذلك في اليمن تصعيديًا ومتسارعًا ووفق العمل السياسي العسكري المباشر، لوجود جماعة «الحوثي» الإرهابية، وبحكم الطابع القبلي للبلاد، فيما جرت الأمور في ماليزيا وإندونيسيا من جهة، ودول أفريقيا من جهة أخرى، وفق منطق التوسع والانتشار وبناء ركائز ذات طابع استراتيجي بعيد الأمد، يكون فيه الولاء الأول لإيران، ويتغلب الولاء الطائفي على الاعتبارات الوطنية.

■ المصادر:

1 - عسكرة التشيع، موقع الراصد، 10 يناير/ كانون الثاني 2016.

2 - إيران وعسكرة التشيع في الداخل والخارج، موقع مجلة السياسة والاقتصاد، 11 يوليو/تموز 2021.

في شرع الملالي..
الميليشيات أهم من الصواريخ!

■■ أكدت دراسة أجراها «المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية» في لندن، مؤخرًا، تحت عنوان «شبكات التسلل الإيرانية في الشرق الأوسط»، أن إيران تولي أهمية عسكرية واستراتيجية لميليشياتها المسلحة المنتشرة في أنحاء منطقة الشرق الأوسط، أكثر من اهتمامها ببرامجها المعلن عنه لتصنيع الصواريخ الباليستية.

وقدّرت الدراسة إجمالي إنفاق إيران على أنشطة ميليشياتها في سوريا والعراق واليمن بحوالي 19 مليار دولار سنويًا، بينما تنفق طهران حوالي 700 مليون دولار سنويًا على ميليشيات «حزب الله» في لبنان. ووفقًا لمسؤولين إيرانيين ولموقع «مجلة السياسة الخارجية»، فإن نظام الملالي أنفق مبالغ هائلة في سوريا، تتجاوز 48 مليار دولار.

وفي تصريح نادر، كشف علي فدوي، القائد في «الحرس الثوري» الإيراني، خلال مقابلة مع التلفزيون الرسمي، أن إيران تنفق ما يقرب من 20 مليار دولار على ميليشياتها في منطقة الشرق الأوسط سنويًا، في وقت يمر الشعب الإيراني بأزمات كبيرة من الفقر والظروف الاقتصادية الصعبة، فضلًا عن انتشار فيروس كورونا في البلاد بشكل وبائي.

في المقابل، ينفي الدكتور إسماعيل حسين زاده، الخبير في الاقتصاد الإيراني، القدرة على تحديد «رقم بعينه» بشأن الدعم الإيراني للتنظيمات والميليشيات الشيعية في العالم العربي، مؤكدًا أنه «لا يمكن وضع رقم محدد، سواء تعلق الأمر بإجمالي قيمة الدعم المالي الموجه من طهران للتنظيمات الشيعية».

وقال «زاده» إن عملية الدعم المالي للميليشيات لا تتم بشكل مُعلن عنه، أو مسجل في الأوراق الرسمية للدولة الإيرانية، يظهر كبند واضح ومفصل في الميزانية العامة، بل إنها عملية سرية، وهناك أكثر من جهة في الدولة تسهم في تمويل تلك التنظيمات بنسب مختلفة، تحت إشراف المرشد الأعلى علي خامنئي شخصيًا، كما أن عملية الإسناد المالي لا تدخل ضمن الطرق التقليدية، مثل تقديم أموال بشكل مباشر لقادة تلك التنظيمات.

ونظرًا لاعتبار المجتمع الدولي بعض هذه التنظيمات الشيعية إرهابية، يتم الإسناد المالي الإيراني لها بطرق ملتوية، منها على سبيل المثال شراء الحكومة الإيرانية صفقات ضخمة من السجاد من التجار الإيرانيين، ثم بيعها لبعض التجار اللبنانيين الداعمين لـ «حزب الله» بأسعار زهيدة للغاية، على أن يقوم هؤلاء بتصريفها في

إيران تنفق ما يقرب من 20 مليار دولار سنويًا على ميليشياتها في منطقة الشرق الأوسط

الأسواق المحلية، وحتى الإقليمية أو الدولية، وتمويل الحزب عبر الأرباح المحققة من عملية البيع.

وفي كثير من الأحيان، تقوم إيران بتمويل التنظيمات بشكل غير مباشر عن طريق صفقات تجارية مع الأجنحة المالية لتلك التنظيمات المسلحة، التي اكتسبت خبرة كبيرة في أساليب التحايل المالي، ومن ثم يتم إدخال الأموال الإيرانية إلى مصارف الدول بشكل مباشر، ولكن تحت أسماء وعناوين وهمية.

الحرب غير المتماثلة

في مواجهة التفوق الأمريكي والحصار الغربي، والجفاء الإقليمي، عمد الإيرانيون إلى اعتماد عقيدة عسكرية تقوم على مبادئ «الحرب غير المتماثلة»، لإحداث الفارق، وهي حروب تعتمد على مجموعة معقدة ومركبة من الاستراتيجيات، تستند إلى تأسيس جيش ظل يعمل كفيلق خارجي مكون من مليشيات عقائدية مسلحة، تتأسس على نموذج «حزب الله» اللبناني. وعلى الرغم من أن هذه الاستراتيجية لا تستطيع هزيمة أمريكا، لكنها تجعل من كلفة أي حرب أمريكية على إيران باهظة وغير مأمونة العواقب.

واستندت طهران في تحقيق هذا الهدف على بناء وإنشاء ميليشيات خارج نطاق الدولة تعمل على إشعال الفوضى، وبث ممارسات طائفية لإضعاف المجتمعات وخلق الاضطرابات وإشعال الحروب الأهلية والطائفية، لتوفير البيئة المناسبة لتحقيق الاختراق الإيراني لدول المنطقة. ومن خلال القتال جنبًا إلى جنب، زودت هذه المجموعات بعضها البعض بالمهارات والخبرة العسكرية، سواء في التكتيكات غير المتماثلة أو التكتيكات التقليدية، وبسرعة كبيرة فرضت هذه الميليشيات نفسها كأداة هائلة لطهران في العراق والشرق الأوسط بشكل عام، ما دفع إيران إلى تمويل وتدريب وتسليح هذه القوات شبه العسكرية على نطاق واسع.

ويؤكد المراقبون أن تشكيل حركة شيعية «عابرة للحدود الوطنية» أجبر إيران على تسخير مقدراتها الاقتصادية الوطنية لتحقيق وجود خارطة شيعية متمايزة عن الخارطة السنية في العالم الإسلامي. وعلى الرغم من النجاحات التي حققتها الاستراتيجية الإيرانية في جغرافيا ممتدة من أفغانستان حتى شمال إفريقيا، وذلك بفعل محركات فعلها الاستراتيجي والعسكري والاقتصادي والأيديولوجي، إلا أنها واجهت تحديات كبرى عطّلت الجيوبوليتيك الشيعي بعض الشيء، والتي يأتي في مقدمتها الدور الإيراني في تصاعد حدة الصراعات الطائفية والمذهبية، والمنافسة الجيوبوليتيكية لإيران في العالم الإسلامي.

حظوظ الميليشيات المتغيرة

ضخامة التكلفة المالية لتمويل التنظيمات الشيعية المسلحة، بات يتجاذبها تياران رئيسان داخل المجتمع الإيراني، فالتيار الأول يُصر على أهمية تلك التنظيمات لاستكمال المشروع الإيراني بتأسيس إمبراطورية قومية، وأن ما تدفعه إيران حاليًا لتلك التنظيمات من أموال لا يقاس بحجم الفوائد التي ستجنيها لاحقًا عند تأسيس الإمبراطورية، والاستغلال التام للأسواق العربية. أما التيار الآخر، فيناقش الأمر من زاوية ما يعرف بـ «البدائل المُهدرة اجتماعيا» نتيجة تمويل تلك التنظيمات في وقت تشهد فيه إيران أوضاعًا مالية مضطربة.

وباتت الخسائر الاقتصادية لإيران نتيجة استمرار تمويل التنظيمات المسلحة الموالية لها، تُلقي بظلال كثيفة على الاقتصاد الإيراني، فالمقاومة التي تلقاها تلك التنظيمات في مجتمعاتها تدفع إيران إلى ضخ المزيد من الأموال لها لتحول دون انهيارها، خاصة أن أغلبها فشل في إيجاد آلية مالية داخلية قادرة على التمويل الذاتي له بشكل دائم ومستمر، ودون الدعم المالي والعسكري الإيراني لتلك التنظيمات فإنه من المشكوك فيه أن تحظى بالقدرة على البقاء.

ويعتبر المحلل الأمريكي جيمس دورسي أن حظوظ الميليشيات المتغيرة، ونفوذ إيران المنخفض، يتحديان المفاهيم الاستراتيجية والدفاعية الأساسية التي تبنتها الجمهورية الإيرانية، منذ الثورة التي قادها رجال الدين والتي أطاحت بالشاه في عام 1979.

ويرى « دورسي» أن الصورة العامة هي أن توسّع إيران بلغ ذروته في 2018 ودخل منذ ذلك الحين مرحلة جديدة، لم تتعرض فيها طهران لأي انتكاسات عسكرية استراتيجية لكنها اصطدمت بجدار، وأكبر مشكلة أساسية لإيران هي أن أغلب حلفائها في الكثير من الأحيان ينجحون في المواجهات المسلحة، لكنهم غير قادرين على ضمان الاستقرار السياسي والاقتصادي لاحقا.

أضف إلى ذلك، أن إيران هي ثورة ليس من المستغرب أن تخرج عن مسارها. فقد فقدت إيران، إلى جانب الفساد المستشري وسوء الإدارة الاقتصادية، «جاذبيتها الثورية» الأولية للشيعة والسنة على حد سواء. وبدلًا من ذلك ينظر إليها عموم المسلمين السنة اليوم على أنها «قوة شيعية فارسية» في المقام الأول.

■ المصادر:

1 - إيران تنفق 10 مليارات دولار على التنظيمات الإرهابية في المنطقة سنويًا، الاقتصادية، 12 نوفمبر/تشرين الثاني 2017.

2 - قائد بالحرس الثوري يكشف حجم إنفاق إيران على الميليشيات بالشرق الأوسط، شبكة شام، 2 أكتوبر/تشرين الأول 2020.

3 - رقم ضخم.. إنفاق إيران على ميليشياتها بالمنطقة، العين، 28 سبتمبر/أيلول 2020.

4 - الميليشيات تتحول إلى عبء على إيران، موقع صحيفة العرب، 23 ديسمبر/كانون الأول 2021.